

60

قصص الأنبياء

محمد

صلى الله عليه وسلم (4)

أصحاب الفيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَسُورَةُ الْأَنْعَامِ
إِشْرَافُ : أَدْحَمُ مَصْحُفِي





عَمِلَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ بِنَصِيحَةِ الْكَاهِنَةِ ، فَأَوْقَفَ وَلَدَهُ
عَبْدَ اللَّهِ فِي جَانِبٍ ، وَأَوْقَفَ عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ فِي
الْجَانِبِ الْآخَرِ ، ثُمَّ ضَرَبَتِ الْقِدَاحُ ، فَخَرَجَتْ عَلَى
عَبْدِ اللَّهِ ..

فَزَادُوا عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ ، فَبَلَغَتْ الْإِبِلُ عَشْرِينَ ،
ثُمَّ أَعَادُوا ضَرْبَ الْقَدَاحِ ، فَخَرَجَتْ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ..
ثُمَّ زَادُوا عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ ، فَبَلَغَتْ الْإِبِلُ ثَلَاثِينَ ،
وَأَعَادُوا ضَرْبَ الْقَدَاحِ ، فَخَرَجَتْ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ..
وَهَكَذَا أَخَذُوا يَزِيدُونَ الْإِبِلَ عَشْرًا فِي كُلِّ مَرَّةٍ
وَيَضْرِبُونَ الْقَدَاحَ ، فَتَخْرُجُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ، حَتَّى
بَلَغَتْ الْإِبِلُ مِائَةً ، وَضَرَبُوا الْقَدَاحَ ، فَخَرَجَتْ عَلَى
الْإِبِلِ ..

فَقَالَتْ قُرَيْشٌ :

- قَدْ انْتَهَى رِضَا رَبِّكَ يَا عَبْدَ الْمُطَّلِبِ ، فَادْبَحِ الْإِبِلَ
فِدَاءً لَوْلَدِكَ ..

فَقَالَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ :

- لَا وَاللَّهِ ، حَتَّى أَضْرِبَ عَلَيْهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ..
فَأَعَادُوا ضَرْبَ الْقَدَاحِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ
كَانَتْ تَخْرُجُ عَلَى الْإِبِلِ ، فَذَبَحُوهَا وَتَرَكَوْهَا لِيَأْكُلَ
مِنْهَا أَيُّ إِنْسَانٍ ..

وهكذا نجا عبد الله من الذبح بفداء مائة من الإبل ، كما نجا جده إسماعيل عليه السلام من الذبح من قبل حين فداه الله (تعالى) بكبش عظيم ..

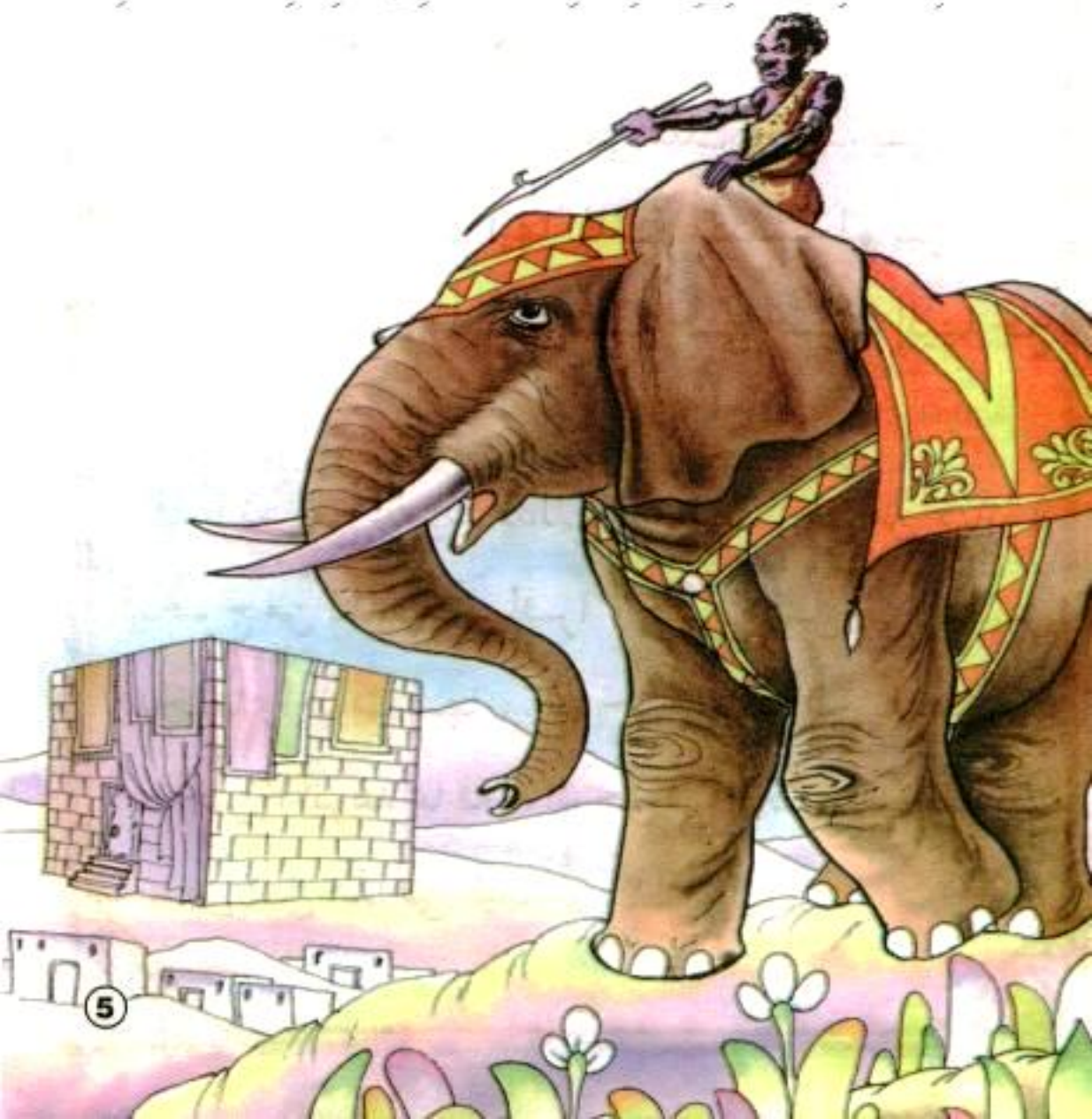
وبعد نجا عبد الله ، أخذه أبوه عبد المطلب إلى وهب بن عبد مناف ، وهو سيد بني زهرة وأكثرهم شرفاً ، فزوجه من ابنته آمنة بنت وهب ، وهي يومئذ أفضل فتاة في قريش وأكثرهن شرفاً وفضلاً .. فدخل بها فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ..

وقد رأت السيدة آمنة - حين حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم - نوراً خرج منها فأضاء قصور بصرى والشام .. ولم يعيش عبد الله طويلاً بعد زواجه من السيدة آمنة بنت وهب ، فمات وهي لم تنزل حاملاً برسول الله صلى الله عليه وسلم .. وقد ظهرت كرامات وبركات رسول الله صلى الله عليه وسلم على العرب عامة ، وعلى قريش وأهل مكة خاصة قبل مولده ، وأمه لم تنزل حاملاً به ..

ففي ذلك العام الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع

حَادِثُ أَصْحَابِ الْفِيلِ ، وَمُحَاوَلَةُ أَبْرَهَةَ الْحَبَشِيِّ هَدْمَ
الْكُعْبَةِ الْمُشْرِفَةِ ، وَقَدْ حَمَى اللَّهُ (تَعَالَى) بَيْتَهُ الْحَرَامَ ،
وَأَهْلَكَ أَصْحَابَ الْفِيلِ ..

وَتَتَلَخَّصُ قِصَّةُ أَصْحَابِ الْفِيلِ فِي أَنَّ أَبْرَهَةَ كَانَ
حَاكِمًا لِلْيَمَنِ مِنْ قَبْلِ النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ ،



فلما رأى أن العرب يحجُّون إلى بيت الله الحرام
في مكة المكرمة ، بنى فى اليمن كنيسة غاية فى
البهاء والروعة ، ليصرف العرب عن حج بيت الله
الحرام ، ويجعلهم يحجُّون إلى كنيسته .. وقد أطلق
على هذه الكنيسة اسم (القليس) ..

ثم كتب أبرهة إلى النجاشي ملك الحبشة يقول :
- إني قد بنيت لك أيها الملك ، كنيسة لم يبن مثلها
ملك كان قبلك ، ولست بمنته حتى أصرف إليها حج
العرب ..

فلما تسامع العرب بذلك ، غضب رجل من كنانة ،
فخرج من بلده مسافرا ، حتى وصل إلى القليس
فدخلها وأحدث فيها .. ثم خرج عائدا إلى بلده ..
فأخبروا أبرهة بما فعله الرجل فى الكنيسة ، فقال :
- من فعل هذا فى كنيستى ؟ !

فقالوا له :

- فعل ذلك رجلٌ من العرب ، أهل ذلك البيت الذى
تحجُّ إليه العرب بمكة .. فقال أبرهة :

- ولماذا يفعل ذلك فى كنيسة ؟ !

فقالوا له :

- لما علم بأنك تنوى أن تجعل العرب يحجون إليها
، بدل الحج إلى بيتهم فى مكة .. لقد سخر منك ومن
كنيستك ..

فغضب أبرهة غضباً شديداً ، وأقسم أنه سوف
يخرج فى جيش ضخم لهدم الكعبة ، حتى يجبر
العرب على الحج إلى القليس ..

وخرج أبرهة فى جيش جرار يتقدمه فيل ضخم ،
قاصداً مكة المكرمة ..

وسمعت العرب بأن أبرهة قد خرج لهدم الكعبة
المشرفة ، بيت الله الحرام ، فغضبوا لذلك وتجهز
بعضهم لقتاله ..

وَكَانَ مِنْ أَوَّلِ مَنْ اسْتَعَدَّ لِقِتَالِ أِبْرَهَةَ ،
رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ أَهْلِ الْيَمَنِ وَمُلُوكِهِمْ ، يُسَمَّى
(ذُو نَفَرٍ) فَدَعَا قَوْمَهُ وَمَنْ أَجَابَهُ مِنَ الْعَرَبِ إِلَى حَرْبِ
أِبْرَهَةَ وَجِهَادِهِ عَنِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، فَأَجَابَهُ بَعْضُ
الْعَرَبِ وَخَرَجُوا مَعَهُ لِقِتَالِ أِبْرَهَةَ ..

وَلَكِنْ ذَا نَفَرٍ وَأَصْحَابَهُ هَزَمُوا أَمَامَ جَيْشِ أِبْرَهَةَ
الْجُرَّارِ ، وَوَقَعَ ذُو نَفَرٍ أَسِيرًا فِي قَبْضَةِ أِبْرَهَةَ ، فَلَمَّا
أَرَادَ أِبْرَهَةَ قِتْلَهُ قَالَ لَهُ :

- أَيُّهَا الْمَلِكُ ، لَا تَقْتُلْنِي ، عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَائِي
مَعَكَ خَيْرًا لَكَ مِنْ قَتْلِي ..

وَكَانَ أِبْرَهَةَ رَجُلًا حَلِيمًا ، فَأَمَرَ بِوَضْعِ ذِي نَفَرٍ فِي
الْقِيُودِ ، وَسَارَ بِجَيْشِهِ ..

وَاعْتَرَضَ طَرِيقَ أِبْرَهَةَ رَجُلٌ آخَرُهُو (نَفِيلُ بْنُ
حَبِيبِ الْخَثْعَمِيِّ) ، وَمَعَهُ رِجَالُ قَبِيلَتِهِ ، وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ
قَبَائِلِ الْعَرَبِ ، فَهَزَمَهُمْ جَيْشُ أِبْرَهَةَ ، وَوَقَعَ نَفِيلُ

أَسِيرًا ، فَلَمَّا هَمَّ أَبْرَهَةُ بِقَتْلِهِ ، قَالَ لَهُ :
- أَيُّهَا الْمَلِكُ لَا تَقْتُلْنِي ، فَإِنِّي دَلِيلُكَ
بَأَرْضِ الْعَرَبِ ..

فَعَفَا أَبْرَهَةُ عَنْهُ ، وَخَرَجَ مَعَهُ يَدُّهُ
عَلَى الطَّرِيقِ إِلَى مَكَّةَ .. وَطَوَالَ الرِّحْلَةَ

كَانَ جَيْشُ أَبْرَهَةَ يَكْتَسِحُ مَنْ يَعْتَرِضُ طَرِيقَهُ ،
حَتَّى وَصَلَ إِلَى مَكَانٍ قَرِيبٍ مِنْ مَكَّةَ فَعَسَكَرَ فِيهِ
بِجَيْشِهِ ، ثُمَّ أَرْسَلَ بَعْضَ جُنُودِهِ إِلَى مَكَّةَ فَاسْتَوْلُوا
عَلَى إِبِلٍ وَمَوَاشِيٍّ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهَا مِنَ الْقَبَائِلِ ،



وَكَانَ مِنْ بَيْنِهَا مَائَتَا بَعِيرٍ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ ،
كَبِيرِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهَا ..

وَعَضِبَتْ قُرَيْشٌ وَأَهْلُ مَكَّةَ لِهَذَا الْاِعْتِدَاءِ عَلَى
أَمْوَالِهِمْ ، وَهَمُّوا بِالْخُرُوجِ لِقِتَالِ جَيْشِ أُبْرَهَةَ ،
لَكِنَّهُمْ عَلِمُوا بِمَدَى قُوَّةِ جَيْشِ أُبْرَهَةَ ، فَأَدْرَكُوا أَنَّهُمْ
لَا قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَى قِتَالِهِ ، فَتَرَجَعُوا عَنْ ذَلِكَ .
وَبَعَثَ أُبْرَهَةُ رَسُولًا إِلَى مَكَّةَ وَقَالَ لَهُ :

- سَلْ عَنْ سَيِّدِ أَهْلِ مَكَّةَ وَشَرِيفِهَا ، ثُمَّ قُلْ لَهُ :
إِنَّ أُبْرَهَةَ يَقُولُ لَكَ : إِنِّي لَمْ آتِ لِحَرْبِكُمْ ، إِنَّمَا
جِئْتُ لِهَدْمِ هَذَا الْبَيْتِ ، فَإِنْ لَمْ تَعْرِضُوا لَنَا دُونَهُ
بِحَرْبٍ ، فَلَا حَاجَةَ لِي فِي دِمَائِكُمْ ، فَإِنْ هُوَ لَمْ يَرِدْ
حَرْبِي فَائْتِنِي بِهِ ..

فَلَمَّا وَصَلَ رَسُولُ أُبْرَهَةَ إِلَى مَكَّةَ سَأَلَ عَنْ سَيِّدِ
قُرَيْشٍ وَشَرِيفِهَا ، فَدَلَّوهُ عَلَى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ ،

فَذَهَبَ إِلَيْهِ وَأَبْلَغَهُ رِسَالَةَ أُبْرَهَةَ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ :

- وَاللَّهِ مَا نُرِيدُ حَرْبَهُ ، وَمَالَنَا بِذَلِكَ مِنْ طَاقَةٍ ..

هَذَا بَيْتُ اللَّهِ الْحَرَامُ ، وَبَيْتُ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ ، فَإِنْ

يَمْنَعُهُ مِنْهُ فَهُوَ بَيْتُهُ وَحَرَمَتُهُ ، وَإِنْ يَخُلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ،

فَوَاللَّهِ مَا عِنْدَنَا دَفْعٌ عَنْهُ ..

وَانْطَلَقَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ مَعَ رَسُولِ أُبْرَهَةَ ، حَتَّى وَصَلَ

إِلَى خِيْمَةِ أُبْرَهَةَ ، فَاسْتَأْذَنَ الْحَاجِبَ فِي الدُّخُولِ عَلَى

أُبْرَهَةَ ، فَأُذِنَ لَهُ ..

وَكَانَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ وَسَامَةً وَجَمَالًا ،

وَمِنْ أَعْظَمِهِمْ مَنْزِلَةً ، فَلَمَّا رَأَاهُ أُبْرَهَةُ أَجَلَّهُ وَأَعْظَمَهُ ،

فَاسْتَقْبَلَهُ مُرَحِّبًا بِهِ ، وَأَكْرَمَهُ عَنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى الْأَرْضِ ،

بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى سَرِيرِ مُلْكِهِ ، وَهُمْ بِأَنْ يَجْلِسَ

مَعَهُ عَلَى سَرِيرِ مُلْكِهِ ، لَكِنَّهُ كَرِهَ أَنْ تَرَاهُ الْحَبِشَةُ

يَجْلِسُ مَعَهُ عَلَى سَرِيرِ مُلْكِهِ ، فَنَزَلَ عَنْ سَرِيرِهِ ،

وَجَلَسَ عَلَى بَسَاطِهِ وَأَجْلَسَهُ إِلَى جِوَارِهِ ، ثُمَّ

قَالَ لَتَرْجُمَانَهُ :

- قُلْ لَعَبْدِ الْمُطَّلَبِ مَا هِيَ حَاجَتُكَ ؟

فَلَمَّا سَأَلَهُ التَّرْجُمَانُ ، قَالَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ :

- حَاجَتِي أَنْ يَرُدَّ عَلَيَّ الْمَلِكُ مَائَتِي بِعِيرٍ أَصَابَهَا لِي ..

فَلَمَّا قَالَ لَهُ ذَلِكَ ، قَالَ أَبْرَهَةُ لَتَرْجُمَانَهُ :

- قُلْ لَهُ : قَدْ كُنْتُ أَعْجَبْتَنِي حِينَ رَأَيْتُكَ ، ثُمَّ قَدْ

زَهَدْتُ فِيكَ حِينَ كَلَّمْتَنِي .. اتَّكَلَّمْنِي فِي مَائَتِي بِعِيرٍ

أَصَبْتُهَا لَكَ ، وَتَتْرَكَ بَيْتًا هُوَ دِينُكَ وَدِينَ آبَائِكَ قَدْ

جِئْتُ لِهَدْمِهِ ، لَا تُكَلِّمْنِي فِيهِ !؟

فَقَالَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ :

- إِنِّي أَنَا رَبُّ الْإِبِلِ ، وَإِنَّ لِلْبَيْتِ رَبًّا سَيَمْنَعُهُ ..

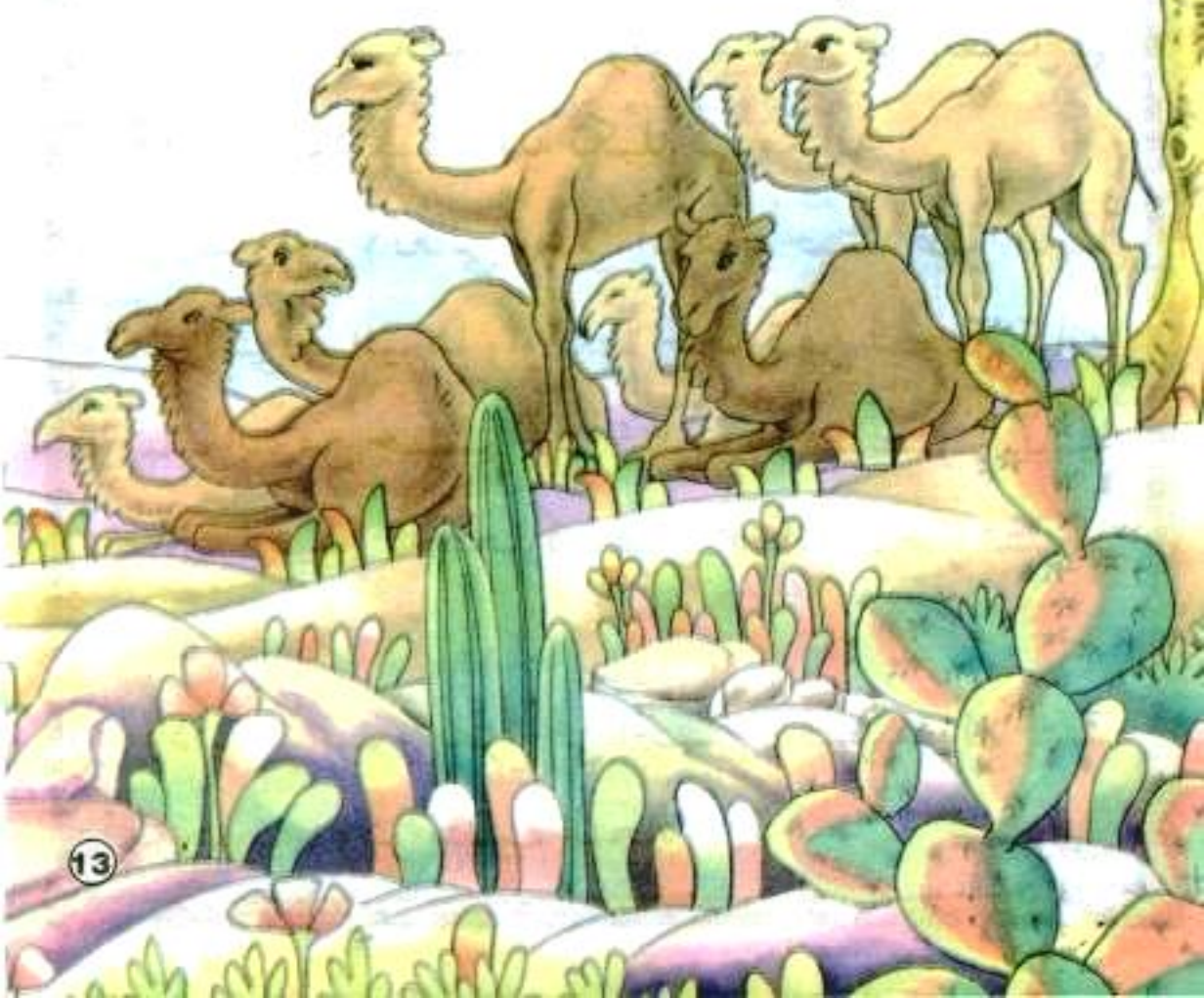
فَقَالَ أَبْرَهَةُ :

- مَا كَانَ لِيَمْتَنِعَ مِنِّي ..

فَقَالَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ :

- أَنْتَ وَذَاكَ ..

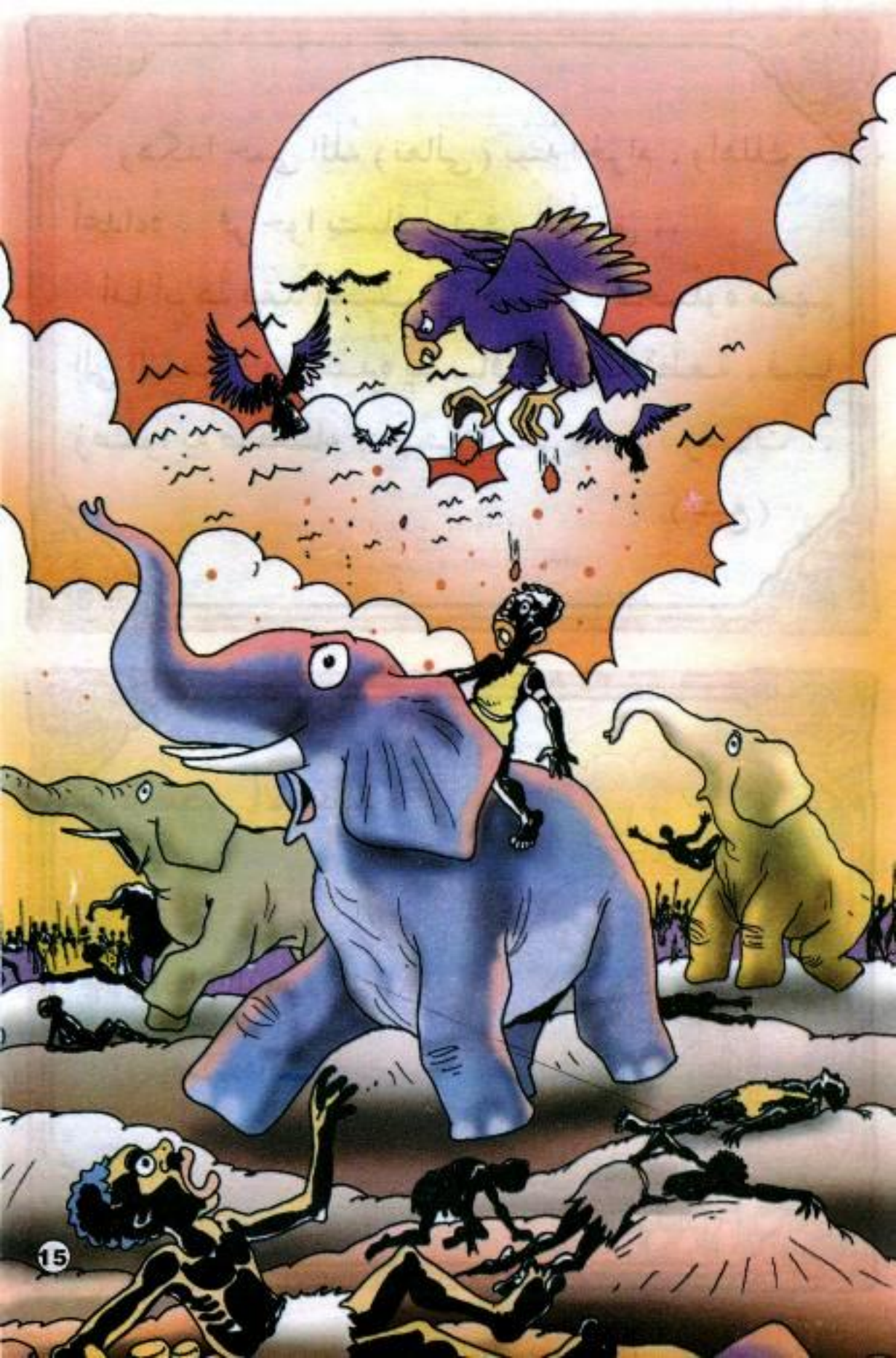
وأمر أبرهة برد الإبل إلى عبد المطلب ..
وعاد عبد المطلب إلى قريش فأمرهم بالخروج من
مكة ، والتحصن في شعب الجبال ، خوفاً عليهم من
جيش أبرهة .. ثم قام عبد المطلب فأمسك بحلقة باب ،



وَمَعَهُ أَنَاسٌ مِّنْ قُرَيْشٍ يَدْعُونَ اللَّهَ وَيَطْلُبُونَ
مِنْهُ النَّصْرَ عَلَىٰ أِبْرَهَةَ وَجَيْشِهِ .. ثُمَّ انْطَلَقَ عَبْدُ
الْمَطْلَبِ وَمِنْ مَعَهُ فَلَحَقُوا بِقُرَيْشٍ خَارِجَ مَكَّةَ ،
يَنْتَظِرُونَ مَا سَيَفْعَلُهُ أِبْرَهَةُ وَجَيْشُهُ بِالْكَعْبَةِ الْمُشْرِفَةِ ..
وَدَخَلَ أِبْرَهَةُ مَكَّةَ يَقُودُ جَيْشَهُ ، يَتَقَدَّمُهُ الْفِيلُ الضَّخْمُ
الَّذِي جَاءَ بِهِ لِهَدْمِ الْكَعْبَةِ .. فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى الْكَعْبَةِ
بَرَكَ الْفِيلُ فِي مَكَانِهِ وَرَفَضَ التَّقَدُّمَ خُطْوَةً وَاحِدَةً ،
فَانْهَالُوا عَلَيْهِ ضَرْبًا ، وَبِرْغَمِ ذَلِكَ ظَلَّ الْفِيلُ فِي
مَكَانِهِ ، وَكَأَنَّ قُوَّةَ هَائِلَةٍ تُكْبِلُهُ فِي مَكَانِهِ ..

وَأَرْسَلَ اللَّهُ (تَعَالَى) عَلَىٰ أِبْرَهَةَ وَجَيْشِهِ طَيْرًا أَبَابِيلَ
تَحْمِلُ فِي مَنَاقِيرِهَا وَأَرْجُلِهَا حِجَارَةً مِنْ سَجِيلٍ كَأَنَّهَا
جَمَرَاتٌ مِنْ جَهَنَّمَ ، فَأَخَذَتْ هَذِهِ الطَّيْرُ الْأَبَابِيلُ
تَقْدِفُ الْجَيْشَ بِالْحِجَارَةِ ، فَمِنْ أَصَابِهِ حَجَرٌ قَتَلَهُ فِي
الْحَالِ ..

وَدَبَ الرُّعْبُ وَالْفَزَعُ فِي الْجَيْشِ ، فَفَرَّ مِنْ لَمَّ يُصَبُّ
هَارِبًا ، وَهُوَ يَطْلُبُ النِّجَاةَ ..



وهكذا حمى الله (تعالى) بيته الحرام ، وأهلك
 أعداءه .. فراحوا يتساقطون في الطريق ..
 أما أبرهة فقد أُصيب في جسده ، فحملوه معهم
 إلى اليمن ، وجسده يتساقط قطعة قطعة ، فما
 وصلوا به صنعاء ، حتى انشق صدره ومات ..
 (يتبع)

رقم الإبداع - ٢٠٠٢/١٩٠٥٤

التقييم الدولي : ٤ - ٨٤٢ - ٢٦٦ - ٩٧٧

فصل الأنبياء

الكتاب التالي

محمد (صلى الله عليه وسلم)

(٥) ميلاده ورضاعته

احرص على اقتنائه

